

## النظريات الفلسفية للإلحاد

### كيف أطلب الدليل على ما هو دليل لي على كل شيء

تعددت النظريات الفلسفية للإلحاد بحسب المدارس الفكرية ومعتقداتها وبالطبع المجال لا يتسع لكل هذه النظريات أو بعضها ولكن يمكن الإشارة إليها بإيجاز شديد للتعرف على أهمها وما تحويه من أفكار. يقول د. صالح بن عبد العزيز سندي أستاذ العقيدة المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في بحثه القيم عن الإلحاد: هناك عدة نظريات فلسفية في الإلحاد ومن أهم تلك النظريات الفلسفية.

#### أولاً: نظرية تعظيم العقل

تقول هذه النظرية: إن العقل عظيم، وأن باستطاعته أن يدرك كل شيء مع حصر الموجودات في المحسوسات. وهي نظرية بالطبع مغلوطة ويمكن القول إن أصحابها هم في ذلك مخالفون للعقل والحس؛ لأن العقل البشري أضعف من أن يحيط علماً بكل شيء، وكذلك الحس فإنه محدود، إذ ليس كل الموجودات محصورة في العقل فنحن نسلم أن المحسوس موجود، ولكن ما الدليل على أن غير المحسوس غير موجود، إن الحس أضعف من أن يكون معياراً للموجودات، ومما يدل على ذلك أن الحس قد يخون صاحبه، وقد يظهر له أشياء على غير وجهها، ولذلك تأمل في الصحراء بعينيك في الطريق وسط الظهيرة، ألسنت تبصر؟ والبصر من أهم الحواس، يمكنك أن ترى الماء في الطريق، وهو سراب لا حقيقة له، وكذلك القلم الذي يوضع في كأس من الماء فإنه يرى مكسوراً وهو ليس مكسور.

فالحس إذن لا ينبغي أن يعتمد عليه ذلك الاعتماد وكذلك العقل وحده، إن العقل والحس لا يمكن أن يُفسر بهما كل شيء وأن يدركا أغوار كل شيء

وأن يحكما على كل شيء، فهذه الروح التي هي أقرب إليك من كل شيء يعجز العقل والحس عن معرفة حقيقتها، كما يعجزان عن معرفة حقيقة العقل نفسه، وقل مثل ذلك في حقيقة الرؤى والأحلام وحقيقة الجاذبية ... إلخ. لا يستطيع ملحد إنكار وجود هذه الأشياء مع عجز عقله وحسه عن معرفة إثباتها؛ إذن إذا تحذلق الملحد فقال: «بما أننا لا نرى الله إذن هو غير موجود» فهذا مكابر للعقل والحس؛ لأننا لو اعتمدنا قاعدته في المجال العلمي الذي يتحجج به، فإنه ستسقط جميع أسس العلم التجريبي من أصولها، مع أن هذا الملحد يزعم أنه يعتمد على النظريات العلمية، فلا أحد من العلماء رأى الجاذبية، ولا أحد منهم رأى الإلكترون، ولا أحد منهم رأى الأثير، ولا أحد منهم رأى الطبيعة الموجبة للضوء ولا رأى الطبيعة الذرية، ولا ... ولا ... ولا ... ولا في سلسلة طويلة من الحقائق العلمية تم استنتاجها مع عدم رؤيتها بالعين.

فعدم رؤيتنا لله تبارك وتعالى وعدم إدراكنا لحقيقته لا يعنى عدم وجوده، ويكفي العقول أن تستدل على وجوده بآثار صنعه وما فيه من نظام وإتقان وإحكام، أما التطلع إلى إدراك حقيقة ذاته وصفاته تبارك وتعالى فهذا ما لا سبيل للعقل إليه.

وإذا لم يتمكن عالم من علماء الطبيعة أن يعرف كل شيء عن حقيقة جناح الذبابة، فكيف يريد أن يعرف كنه ذات الله العظيم تبارك وتعالى، فاحتجاب الله عز وجل عن خلقه ليس دليلاً على أنه غير موجود سبحانه وتعالى، وإلا فهل يقول الملحد عن رجل غاب عن ابنه قبل ولادته فلم يلقه في حياته، هل يقول ذلك الملحد أن هذا الطفل لا أب له لأنه لم يلقه ولم يشاهده في حياته.

الحقيقة أن منهج ونظرية (تعظيم العقل) التي قال بها فلاسفة الملاحدة

منهج إلحادي هش وإن كابر الملحد.

والعجيب أنهم متناقضون - هؤلاء الملاحدة - لأنهم يجحدون الأخبار ويقلبونها في آن واحد، فحينما يناقش أحدهم فيستدل بنظرية ما، فإنه يقال له هل طبقتها وأدركتها بنفسك؟ يقول: لا. وإنما قام بها (فلان) ونص عليها (فلان) وهذه متناقضة لمنهج المزعوم، حيث وصل إلى ما يعتقد عن طريق تصديق الخبر وليس عن طريق الحس! إذن لم يعيب الملاحدة على أهل الإيمان قبول أخبار الغيب التي تتحدث عن المحسوسات أيضًا؟! فإذا كانت هذه أخبارًا وتلك أخبار، فأخبار الرسل أولى بالقبول لقيام البراهين القطعية على صدقها.

إن المنهج الإلحادي منهج متناقض يكذب بالشيء ويصدق نظيره، فهو على سبيل المثال يكذب أن الله خلق آدم عليه السلام من طين ثم تناسل البشر بعده؛ لأنه عندهم غيب غير محسوس، وفي مقابل هذا يصدق بأن أصل الإنسان خلية وُجدت قبل ملايين السنين ثم تطورت من خلال الانتخاب الطبيعي مع أن هذا غيب بالنسبة له أيضًا لكنه مقبول عنده لأن مصدره إلحادي وذاك مردود؛ لأن مصدره وحي قرآني فالمنهج الإلحادي إذن منهج متناقض ليس له حاكم إلا الهوى.

ثانيًا: «نظرية الشك»

وهي نظرية تتفق تمامًا مع تكوين وشخصية الملحد؛ لأن الملحد عبارة عن تكوين مركب من الشك ومن التشتت الفكري والشك لحمة الإلحاد وسداه، ولعل أصدق وصف لفكر الملحد وعواطفه ما جاء في تلك القصيدة التي ذاع صيتها وهي في حقيقتها تصف حال ملحد ضائع تائه يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت أمامي طريقًا فمشيت

وسأبقى سائراً فيه إن شئت هذا أم أبيت  
 كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟!.. لست أدري  
 ويتساءل أيضاً:

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سوياً  
 كنت محوياً أو محالاً أم تراني كنت شيئاً  
 ألهذا اللغز حل..؟ أم سيبقى أبدياً؟  
 لست أدري... ولماذا لست أدري؟ لست أدري

- وهذه القاعدة، قاعدة الشك أو التشكيك هي عماد الإلحاد، وهي التي  
 يسعى الملاحدة جهدهم إلى غرسها في النفوس الناشئة التي هي أسهل أن  
 تنقاد لهم.

• وهذه القاعدة الأثيرة عندهم أصلاً لهم الفيلسوف (أرسطو) وغيره من  
 فلاسفة اليونان القدماء الذين ظهروا قبل الميلاد حيث يقول أرسطو:

«من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليمح من قلبه جميع العلوم  
 والاعتقادات، وليسع في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في  
 الأشياء ثم يتكيف بعقله وخياله ورأيه».

ثم جاء الملاحدة المعاصرون بقانون النسبية الذي يقول في فلسفته:  
 «ليس عند القوم حقيقة مطلقة».

• ومع قاعدة الشك ونسبية الحقيقة صال رءوس الإلحاد وجالوا في  
 محاولات عديدة ومتواصلة للإيقاع بالشباب العربي المؤمن.

• والعجيب في أمر هؤلاء أنهم أكذب الناس وأكثرهم معارضة حتى لقانون  
 الشك الذي وضعوه؛ لأنهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أئمة الإلحاد

وما عليهم من نظريات الإلحاد يتعصبون لها غاية التعصب ولا يخرجون عنها قيد أنملة ولا يشكون فيها ولو للحظة، فأين قاعدة ونظرية الشك هذه لديهم؟!؟

ومهما يكن من شيء، فنهج الشك منهج صارم ومصدم للعقل السوي ومطالبة من وصل إلى يقين أن يشك لأجل أن يتيقن بعد ذلك شيء منافٍ للعقل السوي، إنما هي بمثابة أن يقال لإنسان عاقل: اشرب هذا السم لتجرب الترياق بعده، وهل يفعل ذلك أي عاقل سوي.

أقول ذلك لأن الملاحظة بينهم علماء وعقلاء وحكماء، ولكنهم ليسوا أسوياء! إنهم مرضى نفسيين، نعم الملاحظة كلهم بلا استثناء مرضى نفسيين؛ لأنه ثبت أن الإلحاد مرض نفسي يحتاج لعلاج نفسي قبل العلاج الإيماني.

أما دعوى نسبية الحقيقة التي قال بها بعض الملاحدة، فأظهر في الفساد والبطلان، إذ يمكن أن نسقطها على نفسها ابتداء وبالتالي سوف تنسف من أساسها.

أقول هذه القاعدة التي يتبناها الملاحدة وهي نظرية النسبية لو أخذنا بها لفسدت الدنيا بما فيها؛ لأنه يمكن بمقتضاها أن يعتدي إنسان على غيره، وإذا قيل له إنك أخطأت فسيقول - بناءً على هذه القاعدة - : ما رأيتموه أنتم خطأ، لا أراه أنا خطأ، فالحقيقة نسبيته هذه فإنه سيقول ما ترونه أنتم ضرراً لا أراه أنا ضرراً! فأى عبث بعد هذا العبث نرى؟! وأي فساد بعد هذا الفساد يدعون؟!؟

ومما سبق يمكن القول أيضاً أن الإلحاد أعظم معول لهدم العلوم والمعارف، وأن الإلحاد خير مروج للإباحية والفوضى العارمة التي لا يبقى وراءها مانع علمي ولا خلقي، فلا إله يدعي لأمره ولا رقيب ولا حسيب ولا جزاء.

وهذا المنهج الإلحادي لم ينتج في الخارج في أوروبا ذاتها منبع الإلحاد لم ينتج أي سكيننة ولا طمأنينة ولا سعادة في المجتمع الأوروبي ويدل على ذلك الإحصائيات العالمية التي تتحدث عن نسبة طردية بين الإلحاد والانتحار، وبحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٧م فإن قائمة الدول التي يكثر فيها الانتحار على النحو التالي: اليابان، ثم كوريا، ثم فنلندا، ثم فرنسا، ثم الدنمارك، ثم السويد.... وهكذا، ويلاحظ أن هذه الدول لا ينقصها تقدم تقني ولا رفاهية في العيش.

وهكذا تسقط نظرية الشك هذه وما يلحق بها من نظريات مثل نظرية النسبية، فكلاهما نظريات غير واقعية لا يمكن الاعتداد بها لفسادها العقلي والمنطقي.

### ثالثاً نظرية: (القدر)

وتسمى بفكرة الشر أو نظرية الشر.

يزعم أصحاب هذه النظرية أن حدوث الشر والقتل والخراب في العالم دليل على انتفاء وجود رب كريم رحيم عادل؛ لأنه في زعمهم لو كان موجوداً فعلاً لمنع حدوث ذلك الشر وذالك الخراب، كما يزعمون أنه يقع في الكون أشياء متناقضة لا تتوافق والعقل عليه، فالكون عبثي ليس له مدبر.

وبالطبع هذا التفكير راجع إلى جهلهم أو تجاهلهم لأصل إثبات الحكمة في أفعال الخالق وتقديره، وأن وقوع المصائب والمحن في هذه الحياة راجعاً إلى قاعدة الابتلاء، فالخالق جل جلاله يبتلي بالمحن ويصلح ويهذب ويثيب، ولكن هؤلاء الملاحدة مجادلتهم النفسية المضطربة عموا عن هذا، وعموا أيضاً علمياً وفكرياً.

### رابعًا: نظرية (المغالطات العقلية والتلبيسات):

إنها أساليب الملاحظة من قديم الزمن وخاصة الصهاينة من الملاحظة، فإن قلنا لهم: إن كل حادث لا بد له من محدث، وإن كل ما وجد من عدم فلا بد له من محدث وخالق، فإن الملحد يسأل بغباء، قائلاً: إذا سلمنا بأن الله هو الذي خلق كل شيء فمن خلق الله؟!!

وهذا السؤال فاسد؛ لأن الملحد إذا سلم بأن الله خالق فكيف يسأل هذا السؤال ويجعله مخلوقاً؟ فالخالق لا يمكن أن يكون مخلوقاً، كما هو حال المخلوق لا يمكن أن يكون خالقاً.

والخلاصة أن من أساليب الملاحظة، ومناهجهم في التقرير والمناقشة اعتماد أسلوب المغالطة الجدلية والتلبيس على المحاور، وهم في هذا لا يحترمون المنهج العلمي السليم في المناظرة، وهكذا حال الملحد المضطرب نفسياً؛ إنه يعزز كل قدراته الفكرية والعلمية للدفاع عن فكرة الإلحاد الذي يعتبره جزءاً لا يتجزأ من نفسه التي يدافع عن وجودها وكيانها، فهذا هو ما يمليه عليه اضطرابه النفسي المضطرب.